

المنطق التطبيقي لسياسة تدبير المنزل عند ابن سينا

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٢٥/٨/٢٧

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٥/٨/٣٠

أ. د. نضال ذاکر (*)

المقدمة

مع ابن سينا، الشيخ الرئيس (٣٧٠هـ - ٤٢٨هـ - ١٠٣٧م)، في إطار فلسفته السياسية والحكمة العملية - وفيها يتعلق بسياسة تدبير المنزل، فقد ارتبطت فكرة التدبير بفكرة وطبيعة الإنسان، وذلك لأنه يحتاج بالإضافة إلى القوانين التي تنظم تطور المجتمعات الإنسانية إلى بيان النوات الأساس في هذه المجتمعات وهو الفرد، وانطلاقاً من فلسفة ومصنفات ابن سينا في مختلف العلوم العقلية، والذي جعل من الحكمة، استكمال النفس الإنسانية بتصوير الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية، فكانت الحكمة النظرية عند ابن سينا والمتعلقة بالأمور التي لنا أن نعلمها، وليس أن نعمل بها، بينما الحكمة العملية هي المتعلقة بالأمور العملية التي لنا أن نعلمها أولاً ونعمل بها.

الملخص

إنّ البحث يقوم على المنهج والمنطق التطبيقي لسياسة تدبير المنزل عند ابن سينا، إذ يتم بشرح الجانب العملي، فبعد ان قسم ابن سينا العلوم العقلية إلى قسم نظري وقسم عملي، بالإضافة إلى الحكمة الآلية، إذ عدّ المنطق اله في سائر العلوم النظرية والعملية، ويسلط هذا البحث الضوء عن فرع وقسم من العلوم العملية وهو سياسة تدبير المنزل، فقد مضى ابن سينا إلى بناء الركائز الأساسية والعملية بقصد التدبير الحكيم الذي لم يغفل عن الجانب الديني والاخلاقي والتربوي.

الكلمات المفتاحية: سياسة تدبير المنزل، المنهج التطبيقي، الحكمة النظرية، الحكمة العملية.

أولاً: آلية المنطق التطبيقي في سياسة التدبير
لقد أبدع ابن سينا في أقسام العلوم العقلية إذ
أسس منهجاً أكثر دقة في تقسيم العلوم وترتيبها
- واصفاً المنطق بوصفه « علمياً ألياً أو حكمة
آلية - ضمن علوم الحكمة، مما يجعل أنواع الحكمة
وفقاً لهذا الترتيب: ثلاثة: الحكمة النظرية والحكمة
العملية والحكمة الآلية »^(١).

وضمن العلوم التي تُعد علمياً حقيقياً وحكمة
واقعية، « يضع ابن سينا الفلسفة السياسية
والحكمة العملية داخل هذا النوع من العلوم
الباقية الحقيقية، تلك العلوم التي تبقى على مر
العصور موضع حاجات البشر لا يمكن تناسيها
أو التغافل عنها »^(٢).

ونجده في كتابه منطق المشرقين يأتي على ذكر
العلوم الأصلية، فيقول « وتنقسم العلوم الأصلية
الى قسمين فإن العلم لا يخلو إما أن ينتفع به في
أمور العالم الموجودة وما هو قبل العالم ولا يكون
قصارى طالبه أن يتعلمه حتى يصير آلة لعقله
يتوصل بها الى علوم هي علوم أمور العالم وما
قبله، وأما أن ينتفع به من حيث يصير آلة لطالبه
فيما يروم تحصيله من العلوم بالأمور الموجودة
في العالم وقبله والعلم الذي يطلب ليكون آلة...
يسمى المنطق »^(٣)، بالإضافة الى ذلك يعدّ المنطق
عند ابن سينا « الآلة في سائر العلوم، لأنه يكون
علماً منبهاً على الأصول التي يحتاج إليها كل من
يقتنص المجهول من المعلوم باستعمال المعلوم على
نحو وجهة يكون ذلك النحو وتلك الجهة مؤدياً

وهذا البحث يسלט الضوء على جزئية - من
أقسام هاتين الحكمتين الداخلة ضمن أقسامها
الثلاثة في الحكمة العملية، وهي حكمة تدبير
المنزل، في إطار واقعي ومنهج تطبيقي لهذه الفلسفة
السياسية لابن سينا، فإذا كانت الحكمة العملية
تنصرف الى ثلاثة أقسام: أما القسم الأول، فهو
الأخلاق، والتي يعرف بها، كيف ينبغي أن
تكون أخلاق الإنسان وأفعاله، والقسم الثاني،
تدبير المنزل، ويعرف من خلاله، كيف ينبغي
للإنسان أن يكون تدبيره لمنزله، وهذا المنزل قد تم
بالشركة وبحسب اجتماع أفراد. والقسم الثالث،
فهو السياسة، إذ يعرف بها أصناف السياسات
والرئاسات والاجتماعات، وفي ظل تكاملية تربط
هذه الأقسام الثلاثة في اطارها العام ومن خلال
الاعتماد على المنهج التحليلي لرسم فقرات البحث،
التي كانت تتألف من ثلاث محاور أساسية:

المحور الأول: آلية المنطق التطبيقي في سياسة
التدبير.

المحور الثاني: أقسام العلوم العقلية في الحقائق
النظرية والعلمية.

المحور الثالث: تدبير المنزل وسياسته بمنظور
ابن سينا.

وذلك وفق طرح مجموعة من الأسئلة حول
الكيفية التي عمل بها ابن سينا سياسته في تدبير
المنزل، وما هي أهم الركائز العملية التي تم تقسيم
هذه السياسات بموجبها.

- وتحت عنوان المشاركات الإنسانية لغيره، يذكر ابن سينا أن من ضمن العلم العملي « ما يعلم كيف يجب أن يجري عليه أمر المشاركات الإنسانية لغيره، حتى يكون على نظام فاضل، أما في المشاركة الجزئية وأما في المشاركة الكلية، والمشاركة الجزئية هي التي تكون في منزل واحد، والمشاركة الكلية هي التي تكون في المدينة»^(٩) وآلية المشاركة حسب وجهة نظر ابن سينا تكون « كل مشاركة، فإنما تتم بقانون مشروع، وبمتول لذلك القانون المشروع يراعيه ويعمل عليه ويحفظه»^(١٠)، وفي نص آخر يذكر « أما المتولى للتدبير، وكيف يجب أن يتولى، فالأحسن أن لا ندخل بعضه في بعض، وأن جعلت كل تقنين أيضاً باباً آخر فعلت ولا بأس بذلك، لكنك تجد الأحسن أن يفرد العلم بالأخلاق والعلم بتدبير المنزل والعلم بتدبير المدينة كل على حدة»^(١١).

ثانياً: أقسام العلوم العقلية في الحقائق النظرية والعملية

إذا كان المنطق هو « الصناعة النظرية التي تعرف من أي الصور والمواد يكون الحد الصحيح الذي يسمى بالحقيقة حداً والقياس الصحيح الذي يسمى بالحقيقة برهاناً»^(١٢)، فإننا نجد أن هذا يتضمن تفسيرات أرسطو للمنطق، وتفسير تعريف ابن سينا: ((أننا إذا وصلنا إلى التعريف التام بواسطة الحد، وصلنا إلى أولى درجات العلم، وإذا وصلنا إلى القياس البرهاني، وصلنا إلى غاية العلم نفسه»^(١٣).

وإذا كانت الحكمة عند الشيخ الرئيس، ابن سينا تكون باستكمال النفس الإنسانية بشقيها

بالباحث إلى الإحاطة بالمجهول، فيكون هذا العلم مشيراً إلى جميع الانحاء والجهات التي تنقل الذهن من المعلوم إلى المجهول»^(٤).

لذلك يعد المنطق بمفهوم ابن سينا، مطابقاً للمنطق التطبيقي (Applied Logic)، الذي يمضي إلى التأكيد على كيفية استطاعة الإنسان على الاستفادة الأمثل من آلة المنطق وقواعد المنطق، واستخدامها عملياً وذلك من خلال « أن يكتسب من خلال التمرس المستمر الخبرة في توظيف أصول هذا العلم»^(٥)، ثم أن المنطق التطبيقي - ما كان مطابقاً للواقع فعلاً « وهو يسعى مع توظيفه للقواعد المنطقية المتوفرة في جميع فروع هذا العلم، إلى أن يتخذ من الجانبين المهاري والتطبيقي غاية أساسية في تعليم المنطق»^(٦).

ومن الضروري ذكر أهم النقاط التي يتجنبها هذا النوع من المنطق « أولاً: استخدام المصطلحات المعقدة، كما يتفادى التعابير المتخلقة الرائجة في كتب المنطق، وتكتفي ثانياً: ببيان نقاط توظف في التطبيق في اطار امثلة بسيطة وملموسة»^(٧).

أما المنهجية التي اعتمدها وطبقها ابن سينا في سياسة التدبير، فإن تدبير العالم على حسب رأي ابن سينا يقع على من بيده الأمر، وقد وضح ذلك « وأحق الناس وأولاهم بتأمل ما يجري عليه تدبير العالم، من الحكمة وحسن السياسة هم الملوك الذين جعل الله تعالى بأيديهم أزمة العباد وملكهم تنظيم البلاد، ثم الأمثل فالأمثل من الولاة الذين أعطوا قيادة الأمم واستكفوا تدبير الأمصار»^(٨)، وعن نظام التدبير وآلية هذا النظام عند ابن سينا

تصور، وكان التصديق بقياس ما والتصور بحد ما^(١٨)، وقد كانت القياسات على مراتب، فمنها ما يوقع اليقين وهو البرهاني، ومنها ما يوقع شبه اليقين وهو القياس الجدلي، ومنها ما يقنع ويوقع ظناً غالباً وهو القياس الخطابي أما القياس الشعري فلا يوقع تصديقاً ولكن يوقع تخيلاً^(١٩).

وبما أننا نبحث في الجانب التطبيقي، وكيف طبقه ابن سينا لتدبير المنزل، أجد من الضروري تسليط الضوء على كيف ميز ابن سينا بين الحقائق النظرية والعملية؟ فابن سينا يؤكد أن «الحكمة المتعلقة بالأمور التي لنا أن نعلمها، وليس لنا أن نعمل بها تسمى حكمه نظرية، والحكمة المتعلقة بالأمور العملية التي لنا أن نعلمها ونعمل بها، تسمى حكمة عملية»^(٢٠)، وإذا كانت الحكمة ما هي إلا نظري وعملي، فمثال على ذلك يشير ابن سينا أن الطب ينقسم إلى نظر وعمل، أحدهما علم أصول الطب والآخر علم كيفية مباشرته، يخص الأول منهما باسم العلم أو باسم النظر، ويخص الآخر باسم العمل، ومعنى بالنظر منه ما يكون التعليم فيه مفيد الاعتقاد فقط، من غير بيان كيفية العمل، مثل ذلك ما يقال في الطب: أن أصناف الحميات ثلاثة، وأن الأمزجة تسعة، أما العمل منه، لا العمل بالفعل، ولا مزاوله الحركات البدنية، بل القسم من علم الطب الذي يفيد التعليم فيه رأياً، ذلك الرأي متعلق ببيان كيفية عمل، مثل ما يقال في الطب: أن الأورام الحارة يجب يقرب إليها في الابتداء ما يبرد^(٢١).

ويرى ابن سينا في كتابه المباحثات: «أن الحكمة

التصوري والتصديقي وبحقائقهما النظرية والعملية وليس دون ذلك، فقد قال ابن سينا في الرسالة الأولى من (الطبيعات من عيون الحكمة) «الحكمة استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور وتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية»^(١٤).

وفي قول آخر يحدد الفلسفة «بأنها صناعة نظر يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه وما عليه الواجب، مما ينبغي أن يكسبه فعله، لتشرف بذلك نفسه وتستكمل وتصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية»^(١٥).

ومما ذكر ابن سينا، فيما لا يقبل الشك أن للإنسان ما يميزه عن غيره من الكائنات والموجودات، فالحيوان الناطق يتميز من غير الناطق بقوة بها يتمكن من تصور المعقولات وأن هذه القوة، هي المسماة بالنفس النطقية، وقد جرت العادة بتسميتها العقل الحيواني، وأن هذه القوة في النوع الإنساني كافة، وليس لها في ذاتها شيء من الصور المعقولة^(١٦) ولكن كيف يتم لها العلم: «يحصل فيها ذلك بضريرين من الحصول أحدهما بإلهام إلهي من غير تعلم ولا استفادة من الحواس كالمقولات البدئية مثل اعتقادنا أن الكل أعظم من الجزء... والثاني باكتساب قياس واستنباط برهاني كتصور الحقائق المنطقية مثل الأجناس والأنواع والفصول والخواص...»^(١٧).

وكما ذكرنا، لما كان العلم المكتسب بالفكرة وهو التصديق والحاصل بغير اكتساب فكري هو

أن تكون أموراً وجودها متعلق بالمادة الحركة وحدودها غير متعلقة بها، مثل الترييع والتدوير والكرية، والمخروطية والعدد وخواصه وسائر ذلك، فهو العلم الرياضي، وأما أن تكون أموراً لا وجودها ولا حدودها مفتقرين إلى المادة والحركة، أما في الذوات فمثل ذات الأحد، الحق رب العالمين، وأما من الصفات فمثل الهوية والوحدة والكثرة وما أشبه هذه المعاني^(٢٦).

وبما أن البحث يركز على المنهج التطبيقي في مجال الحكمة العملية وبما هو مشترك وبخصوص شراكة واجتماع منزلي، أي بيان، كيف طبقه ابن سينا في حيز المنزل، نجده يحدد في أقسام الحكمة العملية « لما كان تدبير الإنسان أما أن يكون خاصاً بشخص واحد، وإما أن يكون غير خاص بشخص واحد، والذي يكون غير خاص هو الذي إنما يتم بالشركة، والشركة، أما بحسب اجتماع منزلي... وأما بحسب اجتماع مدني^(٢٧)».

وسنأتي إلى تفصيل القسم العملي، بأقسامه الثلاثة: أما القسم الأول « ويعرف به أن الإنسان كيف ينبغي أن تكون أخلاقه وأفعاله حتى تكون حياته الأولى والاخرى سعيدة « وهو الأخلاق، وأما القسم الثاني من أقسام الحكمة العملية. فهو تدبير المنزل « ويعرف منه أن الإنسان، كيف ينبغي أن يكون تدبيره لمنزله المشترك بينه وبين زوجته وولد، ومملوكه، حتى تكون حاله منتظمة مؤدية إلى التمكن من كسب السعادة^(٢٨)».

وأما القسم الثالث، فهو السياسة، « ويعرف به أصناف السياسات والرئاسات والاجتماعات

العملية التي هي جزء من الفلسفة تحاذي الشجاعة والعفة، وهذه الحكمة الخلقية العقلية^(٢٢).

ويذكر ابن سينا في أقسام العلوم العقلية، أن الحكمة تنقسم إلى قسم نظري مجرد، وقسم عملي، ويذهب إلى أن « القسم النظري هو الذي الغاية فيه حصول الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا يتعلق وجودها بفعل الإنسان، ويكون المقصود إنها هو حصول رأي فقط، مثل علم التوحيد وعلم الهيئة^(٢٣)، وبالمقارنة مع القسم العملي، نجد ابن سينا يحدده بقوله « هو الذي ليس الغاية فيه حصول الاعتقاد اليقيني بالموجودات، بل ربما يكون المقصود فيه حصول صحة رأي في أمر يحصل بكسب الإنسان ليكتسب ما هو الخير منه^(٢٤)، فالجانب العملي لا يكون بمجرد إظهار الرأي، وإنما لأجل العمل، وإذا كان غاية النظري هو الحق، فإن غاية العملي هو الخير، وعندما نبحث بالمحور التطبيقي للتدبير المنزل، نجده مزيج بين الجانب النظري بصورة الحق، والجانب العملي بصورة الخير.

ولو نظرنا إلى أقسام الحكمة النظرية، نجد أن ابن سينا قسمها إلى ثلاثة: « العلم الأسفل ويسمى العلم الطبيعي، والعلم الأوسط ويسمى العلم الرياضي والعلم الأعلى ويسمى العلم الإلهي^(٢٥)، أما ما هو متعلق بالأمور التي تبحث بالمادة الجسمانية، والحركة مثل إجرام الفلك والعناصر الأربعة، وما يتكون منها وما يوجد من الأحوال خاصاً بها، مثل الحركة والسكون، والتغير والفساد، وسائر ما يشبهها، فهذا قسم العلم الطبيعي، وأما

الله تعالى بأيديهم أزمة العباد وملكهم تنظيم البلاد «^(٣٢)، ويرجع السبب في ذلك « أن الأخلاق إنما تحصل من اعتياد الأفعال التي تصدر عن الأخلاق ما نراه من أصحاب السياسات الجيدة وأفاضل الملوك، فإنهم إنما يجعلون أهل المدن اختياراً بما يعودوهم من أفعال الخير، وكذلك أصحاب السياسات الرديئة والمتغلبون على المدن يجعلون أهلها أشرار بما يعودونهم من أفعال الشر »^(٣٣).

ثم انتقل من ما يتضمن معناه العام وأقصد الملوك الى من هم « من الولاة الذين أعطوا قيادة الأمم وأستكانوا تدبير الأمصار، ثم الذين يلونهم من أرباب النعم وسواس البطانة والخدم، ثم بعد ذلك من أرباب المنازل من الأهل والأولاد فإن كل واحد من هؤلاء راع لما يجوزه كنهه »^(٣٤).

ولا يمثل هذا الترتيب الهرمي لطبقات المجتمع، إلا كما تمثل القوى من حيث الرئاسة والخدمة التي قدمها ابن سينا: « وأنظر الى هذه القوى كيف يرأس بعضها بعضاً وكيف يخدم بعضها بعضاً، فأنك تجد العقل المستفاد، بل العقل القدسي رئيساً يخدمه الكل، وهو الغاية القصوى، ثم العقل بالفعل يخدمه العقل بالملكة. والعقل الهولاني بما فيه من الاستعداد يخدم العقل بالملكة، ثم العقل العملي يخدم جميع هذه لأن العلاقة البدنية... تكميل العقل النظري وتزكيته والعقل العملي هو مدير تلك العلاقة... »^(٣٥).

ويظهر لنا الجانب التطبيقي الواقعي في الحياة اليومية من التدبير عند ابن سينا من خلال مشاهدات وأمور مجربة فبعد التجربة لا يكون إلا

المدنية الفاضلة والرديئة، ويعرف وجه استيفاء كل واحد منها وعلّة زواله وجهة انتقاله «^(٣٦).

ثالثاً: تدبير المنزل وسياسته بمنظور ابن سينا

لابن سينا كتاب في تدبير المنازل، وجدنا فيه المنهج التطبيقي حاضرًا عبر آلية محكمة تدل على التدبير ورعاية القوانين والقواعد والمقدمات وصولاً إلى الأحكام، وفي إشارة لابن سينا، أن هناك تفاوت بين الناس في الصفات والرتب، إلا أن القاعدة التامة هي ما ذكره سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، قال تعالى P لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.^(٣٧)

فقد مضى ابن سينا في كتابه، الى بناء الركائز العملية التي لا بد أن تجمع بين الأقيسة والتجربة وذلك لتحصيل المعرفة، ولأجل توضيح أساسيات سياسته في تدبير المنزل متدرجاً من وضع مقدمات صحيحة خالية من السفسطة مؤدية الى اليقين، وقد تولى المنطق هذه المهمة عندما أفرد « للمقدمات الأولية العقلية، وشرائط البرهان عن سائر المقدمات من الوهيمات والمشهورات والاستقرائيات وغيرها على ما فصل، لكان الضلال مستولياً على كل أحد، فأشرف به من صناعة، وأخلق بمن شرف به أن يهتدي الى كل خافية «^(٣٨)، وعلى أساس هذا المنهج، ذكر ابن سينا لزوم السياسية لجميع الناس وقصد التدبير الحكيم، وفي مقدمتهم الملوك، إذ قال « وأحق الناس وأولاهم بتأمل ما يجري عليه تدبير العالم من الحكمة وحسن السياسة هم الملوك الذين جعل

يريدها ومنعها ممن يرومها»^(٤١)، وبذات المحور، نجده بعد أن أوجد الحاجة لوجود المنزل، بحث في الحاجة لرعاية وحفظ كيان هذا المنزل، ولم يجد خير من الزوجة، فذكر « فاحتاج عند ذلك الى استخلاف غيره على حفظ قنيتة ولم يصلح لخلافة في ذلك إلا من تسكن إليه نفسه، ولم تسكن نفسه إلا الى الزوج التي جعلها الله سكناً للرجل»^(٤٢)، وكان ذلك سبب في اتخاذ الأهل، وكان وجود الأهل بالامر الذي جعله الله تعالى سبب لحدوث الذرية، فحدث الولد وكثر العدد، واحتاج عند ذلك الى الأعوان والكفات والخدم، فإذا به صار راعياً، وتحت يده رعية له^(٤٣).

لذلك حدد ابن سينا أمور قوام المنزل فيما سبق « إنسان يحتاج في دنياه الى قوت يمسك روحه ويقيم جسده والى منزل يحرز فيه ذات يده ويأوى إليه من انصرف عن سعيه والى زوجة تحفظ منزله وتحرز كسبه والى ولد يسعى له عند عجزه ويقوم بكفائته في كبره، ويجيي ذكره من بعده والى كفاة وقوام يعينونه ويحملون عنه ثقلته»^(٤٤).

وفي بيان مجموعة السياسات الخمس التي ركز عليها ابن سينا في تدبير المنزل، فقد قسمها الى: سياسة الرجل نفسه، وسياسة الرجل دخله وخرجه وسياسة الرجل أهله وسياسة الرجل ولده وسياسته لخدمه، في صورة تكاملية ذو منحى تطبيقي واقعي وسوف تأتي الى كل واحدة من هذه السياسات، في حياة تدبير المنزل، أو كما أطلق عليها ابن سينا السياسات الأهلية للتدبير المنزلي.

اليقين، لأن «المجربات هي قضايا وأحكام تتبع مشاهدات، تتكرر فتفيد بتكرارها فيتأكد منها عقد قوى لا يشك فيه»^(٣٦).

ومن المقارنات والأسئلة التي ذكرها ابن سينا، وهو يتكلم عن حسن السياسة والتدبير، سؤال: بين الملك الأعظم والفرد الذي لا معاضد له، أيهما أحوج الى سياسة التدبير، كان جوابه: «الفرد الذي لا معاضد له، هو أحوج الى حسن العناية وأحق بشدة الاحتراز»^(٣٧)، لكن كيف يعقد ابن سينا هذه المقارنة بين حال الملك الغني والفرد الذي لا معاضد له، أي واقعية تطبيقية في ذلك: نقول أن ابن سينا لم يغفل عن هذا الأمر، وإنما قدم هذا السؤال لأن «تقارب الناس في الأخلاق والعادات والخلق وحاجات النفس ودواعي الجسد وفي المنازل، دون المراتب والاختطار والأقدار»^(٣٨)، بالإضافة الى ذلك «فإن كل إنسان من ملك وسوقة يحتاج الى قوت تقوم به حياته»^(٣٩).

وفي تسلسل منطقي سيده الحاجة يرتب ابن سينا هذه الأمور، فالإنسان يحتاج الى أعداد قوته والاهتمام به، لأنه ليس كما في حال الحيوان الذي يسعى الى المرعى والماء عند الجوع والعطش، ويجتهد في الاحتفاظ بهما، فالإنسان يحتاج الى مكان يخزن فيه ما يقتنيه ويجرسه لوقت حاجته، وقد يكون هذا السبب من الأسباب المهمة في الحاجة الى إيجاد واتخاذ المساكن والمنازل^(٤٠).

وضمن مجال المنهج التطبيقي في الاقتصاد والتنظيم الذي ركز عليه ابن سينا، إذ يقول « اتخذ المنزل وأحرز القنيه، احتاج الى حفظها فيه من

١- سياسة الرجل نفسه :
سالم من مجازجة الهوى آياه عند نظره في أحوال نفسه^(٤٨).

وقد أوجد الحل في معونة الأخ أو مساندة صاحب الرفيق « كأن غير مستغن في البحث عن أحواله والفحص عن مساويه عن معونة الأخ اللبيب... الذي يكون منه بمنزلة المرأة فيريه حسن أحواله حسناً وسيئها سيئاً »^(٤٩).

وفي صاحب الرفيق، فإن ما يعين الرجل في تقويم ومنهجة سياسته لنفسه صاحب وله صفاته عند ابن سينا، فيقال: « أنك إذا بنيت أمرك في صحبة من تصحب على الدين والمروة، لم يلزمك أن تراعي غيرهما فيما تأتي وتذر »^(٥٠).

٢- السياسة الثانية، فهي سياسة الرجل دخله وخرجه :

يذكر أرسطو في كتاب السياسة أنه « ما دام أن الدولة مؤلفة من العائلات، عناصر الاقتصاد المنزلي هي على الضبط عناصر العائلة نفسها »^(٥١)، وقد دعت الحاجة الناس للسعي في اكتساب أوقاتهم على حسب ما ألهمهم الله سبحانه وتعالى، وقد صنف ابن سينا الناس من باب المعيشة الى صنفين: « منهم من كفي السعي برزق منها من وراثه أو جناء، ومنهم من احتاج الى الكسب »^(٥٢).

وفي صنف من له كسب، فقد صنف ابن سينا الأوقات بالتجارة والصناعة، وقدم الصناعات على التجارة وذكر السبب في ذلك. إذ قال « الصنف المتسبب الى الأوقات بالتجارات والصناعات، وكانت الصناعات أوثق وأبقى من التجارات،

نجد ابن سينا، يبدأ أول السياسات وهو في سياسة الرجل لأقرب الأشياء إليه، وقد ذكر أنه إذا أحسن في سياسته لنفسه، فهو يمتلك زمام الأمور التي فوقها، وأرجع ذلك الى الأساس، وهو عند ابن سينا العقل، إذ يعدّ مبدأ العقل هو المرجع الأساس في تنظيم حياة الفرد وكذلك الجماعة، أي المنزل والمجتمع، وهو بتالي ابتعد عن التصورات القائمة على مقدمات كاذبة أو غير واقعية، إذ قال « لأنه متى أحسن سياسة نفسه لم يعأ بها فوقها من سياسة المصر، ومن أوائل ما يلزم من رام سياسة نفسه أن يعلم أن له عقلاً هو السائس »^(٥٣)، وإذا كان العقل كما يرى ابن سينا هو الأساس في منهجية الرجل لسياسة نفسه، فإن له نفس أمارة كثيرة المعائب، وأن الذي يريد السيطرة على فسادها عليه بخطوات تطبيقية، استقراء جميع جزئيات فسادها. حتى يستطيع إصلاحها ووفق منهج استقرائي يقوم على « حكم كلي بما يوجد في جزئياته الكثيرة »^(٥٤)، إذ يقول: « ونفساً أمارة كثيرة المعائب حمة المساوي في طبعها واصل خلقها هي المسوسة، وأن يعلم أن كل من رام إصلاح فاسد يلزمه أن يعرف جميع فساد ذلك الفاسد معرفة مستقصاة حتى لا يغادر منه شيئاً، ثم يأخذ في إصلاحه وإلا كان ما يصلحه غير حريز ولا وثيق »^(٥٥).

وفيما يتكلم ابن سينا عن سياسة الرجل نفسه، يؤكد على حقيقة تكمن في طبائع الإنسان وسلوكه « لما كانت معرفة الإنسان نفسه غير موثوق بها لما في طباع الإنسان من الغباوة عن مساوئه وكثرة مسامحته نفسه عند محاسبتها، ولأن عقله غير

في خطوة وضحت الجانب الحياتي، ومن خلال سياسة الرجل ودخله وحتى كيف يتصرف به داخل إطار الاقتصاد أو الدخل « فإذا حاز الإنسان ما اكتسبه، فإن في السيرة العادلة في ذلك أن يكون بعضه مصروفاً في الصدقات والزكات وأبواب المعروف، وبعضه مستبقى مدخراً لنوائب الدهر وأحداث الزمان »^(٥٨).

والجانب التطبيقي يكمن في أدق واكمل أوجه الكمال مع ابن سينا، فهو يمضي الى ذكر كيف تكون الزكاة والصدقات « فأما الزكوات والصدقات، فينبغي أن يكون إخراجها بطيب النفس وحسن النية وانسراح الصدر والثقة بأنها معدة ليوم الفاقة، وأن يوضع معظمها في أهل الخلة من بسائر الناس بفقره ولا يهتك ستر الله عن حاله »^(٥٩)، وفي باب النفقات يذكر ابن سينا « فاما النفقات فإن سدادها وإصلاح أمرها بين السرف والشح متردد بين التضييع والتقدير، خلا أن يإزاء ذلك أمراً يوجب التثبيت، وهو أنه متى استوفى الإنسان حقوق التقدير كلها واستعرف شرائط الاقتصاد أجمع لم يسلم في ذلك على غمزة الغافر وشمول البغضاء الموكلة بكل مروءة تامة... فلهذا ينبغي للعاقل أن يبنّي بعض أمره في الإنفاق على عقول عوام الناس، وأن يستعمل كثيراً من التجوز والأعضاء في المواضع التي يخشى فيها شبه السرف »^(٦٠).

لأن التجارة تكون بالمال وشيك الفناء »^(٥٣).

وحين قدم الصناعات، قسمها الى ثلاثة أنواع: « نوع من حيز العقل وهو صحة الرأي وصواب المشورة وحسن التدبير، وهو صناعة الوزراء والمدبرين وأرباب السياسة والملوك، ونوع من حيز الأدب وهو الكتابة والبلاغة وعلم النجوم وعلم الطب، وهو صناعة الأدباء، ونوع من حيز الأيدي كالشجاعة، وهو صناعة الفرسان والأساورة »^(٥٤).

ونجد ابن سينا وهو يتكلم عن الجانب التطبيقي لسياسة الرجل دخله وخرجه، لم يغفل عن الجانب الأخلاقي في الكسب وحياسة المال ومتابعة الرزق « وليعلم أنه ليس شيء أزين بالرجل من رزق واسع وفق منه استحقاقاً، ثم ليطالب معيشته بصناعة على أعف الوجوه وأرفقها وأعفاها وأبعدها من الشره والحرص وأناها من الطمع الفاحش والمأكل الخبيث »^(٥٥)، ومن منطلق الفلسفة الإسلامية، ومنطق الفيلسوف المسلم، نرى صورة من أروع الصور على إظهار التباين والتطابق في دلالة واضحة المعالم في إطار الأخلاق التطبيقية بين أنواع الكسب وفيما يصرف ويستهلك « وكل ربح حيز بالأثم والعار، ومع سوء المقالة وقبح الحدوثة أو ببذل الوجه ونزف الحياء، وبلثم المروءة وتدنيس العرض، زهيد وان عظم قدره، نزر وأن غزوت مادته ويبل وأن ظهرت هنأته »^(٥٦)، وفي الجانب المقارن يذكر ابن سينا « وأن الصفو الذي لا كدر فيه والصفو الذي لا كدح معه وأن قل مقداره وخف وزنه، أطيب مذاقاً وأسلس مساعاً وإنمي بركة وأزكى ريعاً »^(٥٧)، وماذا بعد الكسب

٣- في سياسة الرجل أهله :

يجعل ابن سينا للمرأة مكانة الشريك للرجل : « بأن المرأة الصالحة شريكة الرجل في ملكه وقيمه في حاله وخليفته في رحله وأميته في تربية أولاده»^(٦١).

ويحدد ابن سينا خير النساء، في « العاقلة الدينية، الحية، الفطنة، الودود، الولود، القصيرة اللسان، المطاوعة العنان، الناصحة، الحبيب الأمينة الغيب، الرزان في مجلسها، الوقور في هيبته، المهية في قامتها، الخفيفة المتذلة في خدمتها لزوجها، تحسن تديرها وتكثر قليله بتقديرها، وتجلو أحزانه بجميل أخلاقها، وتسلى همومه بلطيف مداراتها»^(٦٢).

وفي سياسة الرجل أهل بيته من الضروري أن يرتكز الرجل على ثلاثة أمور لا يتركها وهي « الهبة الشديدة والكرامة التامة، وشغل خاطرها بالمهم»^(٦٣).

٤- في سياسة الرجل ولده :

هناك أمور أكد عليها ابن سينا، وهي سنن لكل من الوالدين والولد ذكرها ابن سينا في كتابه الشفاء « ويسن في الولد أن يتولاه كل واحد من الوالدين بالتربية، أما الولادة فيها تحضنه، وإما الوالد فالنفقة، وكذلك الولد أيضاً يسن عليه خدمتها وإطاعتها واکبارهما وإجلالهما»^(٦٤)، وذلك من منطلق ديني أخلاقي، « أن من حق الولد على والديه، إحسان تسميته، ثم اختيار (مرضعته) لا تكون حمقاء... فإن اللبن يعدي، فإذا فطم عن الرضاع بدأ بتأديبه

ورياضته أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللثيمة»^(٦٥)، وقد ذكر ابن سينا في كتابه القانون في الطب، في التربية أربعة فصول عن تدبير المولود والأرضاع وما يتعرض له من الأمراض وعلاجاتها وفي تدبير الأطفال وانتقالهم الى سن الصبا، من الناحية الصحية وكذلك التربية والاخلاقية، « فإن الصبي تبادر إليه مساوى الأخلاق... فما تمكن منه من ذلك غلب عليه فلم يستطع له مفارقة ولا عنه نزوعاً»^(٦٦)، ولعلاج ذلك، رسخ ابن سينا قواعد ومنهجاً، إذ قال « فينبغي لقيم الصبي أن يجنبه مقابح الافعال وينسكب عنه معائب العادات بالترهيب والترغيب والأيناس والأيماش وبالاعراض والأقبال، بالحمد مرة وبالتوبيخ أخرى»^(٦٧).

ومما يجب العناية به في مراعاة أخلاق الصبي، بأن يحفظ كيلا يعرض له غضب شديد أو خوف شديد أو غم أو سهر، فيقرب إليه ما يحن إليه ويبعد عنه ما يكرهه، وبها نصل الى منفعتين وأحدهما في نفسه بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق ويصير ذلك له ملكه لازمة، والثانية لبدنه فإنه كما أن الأخلاق الرديئة تابعة لأنواع سوء المزاج، فكذلك إذا حدثت عن العادة استتبع سوء المزاج المناسب لها، فإن الغضب يسخن جداً والغم يجفف جداً»^(٦٨).

هذه في مرحلة من عمره، « فإذا اشتدت مفاصل الصبي واستوى لسانه تهيأ للتلقين ووعى سمعه، أخذ في تعلم القرآن وصورت له حروف

اتخاذهم فهي «إلا يتخذ الإنسان خادماً إلا بعد المعرفة والاختبار له، وإلا بعد سيرة وامتحانه... فإذا فرغ من ذلك فلينظر لأي أمر يصلح الخادم الذي يتخذه وأي صناعة ينت حل» (٧٣).

ومما ينبغي كذلك «أن يكون من حق الرجل اتجاه عاملة والذي يعمل عنده، فينبغي له أن يقرر في قلوب خدمه أنه في داره، لأن ذلك أتم للمروءة وأدل على الوقار والكرم» (٧٤).

الخاتمة

لقد وجدنا من خلال البحث في موضوع - المنطق التطبيقي لسياسة تدبير المنزل عند ابن سينا) - العديد من الجوانب، ومنها، أن ابن سينا عمد الى تقسيم العلوم العقلية في جانبها النظري والعملي، عبر علم آلي أو حكمة آلية، وهو المنطق، فكان عنده، آلة في سائر العلوم، لأنه يكون علماً منبها على الأصول التي يحتاج إليها كل من يقتنص الحقائق، وميزان ومنهج المعلوم النظرية والعملية.

أما القسم النظري، فهو ما كانت الغاية منه حصول الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا يتعلق وجودها بفعل الإنسان - أي حول رأي فقط. في حين أن القسم العملي، وكما حدده ابن سينا، ليس الغاية فيه حصول الاعتقاد اليقيني بالموجودات، بل حصول صحة رأي في أمر يحصل بكسب الإنسان، فالجانب العملي لا يكون بمجرد إظهار الرأي، وإنما لأجل العمل.

الهجاء ولقن معالم الدين... ثم القصيدة... ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل... وما حث فيه على بر الوالدين... وغير ذلك» (٦٩).

ومن الأمور التي أكد عليها ابن سينا، وما ينبغي، «فينبغي أن يكون الصبي مع أولاد حسنة آدابهم، لأن الصبي يأخذ عن الصبي، وينبغي كذلك لمدير الصبي إذا أراد اختيار الصناعة له، أن يهتم بمجموعة أمور منها طبعه وقربحته وذكائه أن يكون اختيار الصناعات له بحسب ذلك» (٧٠).

٥- سياسة الرجل خدمه ومن يعملون معه وعنده: يرى أرسطو أن الملكية جزء لا ينفصل عن العائلة، وذلك لأن «علم الحيازة جزء من العلم المنزلي، مادام أنه بغير الأشياء التي هي من الضرورة الأولى لا يستطيع الناس أن يعيشوا إلا سعداء... ينتج من هذا أنه... العلم المنزلي ينبغي أن يكون له أدوات على سواء، وأن تلك الأدوات ما هو غير حي، ومنها ما هو حي، فمثلاً صاحب السفينة عنده الدفة أداة لا حياة بها وملاح... أداة حية، باعتبار أن العامل في الفنون أداة حقيقية» (٧١).

وقد قدم ابن سينا مجموعة من الأمور لهذه السياسة التطبيقية إذ «ينبغي لك أن تحمد الله عز وجل على ما سخر لك منهم وما كفاك وأن يتحوطهم ولا تقصهم وتفقدهم ولا تهملهم وترفق بهم ولا تحرجهم، فأنهم بشر ويمسهم من الكلام... ما يمس البشر» (٧٢)، أما طرق ومنهجية

- ٢٤، ٧١٠٢، ص ٢٤.
- (٦) المصدر السابق، ص ٢٥.
- (٧) المصدر السابق، ص ٢٥.
- (٨) ابن سينا، تدابير المنازل، أو السياسات الأهلية، وعليه حواشي بقلم الأستاذ الشيخ جعفر نقدي، نشر مجلة المرشد في النسخة الثالثة، مطبعة الفلاح، بغداد، ٩٢٩١، ص ٧.
- (٩) ابن سينا، منطق المشرقين، ص ٥.
- (١٠) المصدر السابق، ص ٧.
- (١١) المصدر السابق، ص ٨.
- (١٢) ابن سينا، النجاة (في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية)، تحقيق: محي الدين صبري الكردي، نشره المكتبة المرتضوية، بلاط، ص ٤.
- (١٣) محمود محمد علي، المنطق الصوري القديم بين الأصالة والتبعية (قضايا وإشكاليات)، الناشر مؤسسة هندواي، ٧١٠٢، ص ١٧.
- (١٤) ابن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعات وقصة سلامان وابسل، تحقيق وتقديم: حسن عاصي، دار قابس، ط ١، ٦٨٩١، ص ١١.
- (١٥) مهدي طه مكي، نظرية المعرفة عند ابن سينا، مؤسسة نائر العصامي، بغداد، ٨١٠٢، ص ١٢.
- (١٦) ابن سينا، مبحث عن القوى النفسانية، أو كتب في النفس على سنة الاختصار ومقتضى طريقة المنطقين، عنى بضبظها وتصحيحها، أورد فنديك، بلاط، ص ٦٠.
- (١٧) المصدر السابق، ص ٦٠.
- (١٨) ابن سينا، النجاة، ص ٣.
- (١٩) المصدر السابق، ص ٤.
- (٢٠) ابن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعات، ص ١١.
- (٢١) ابن سينا، القانون في الطب، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ج ١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٥٠٠٢، ص ٢٧.

أما أقسام الحكمة النظرية فهي ثلاثة: العلم الإلهي والعلم الرياضي والعلم الطبيعي.

وأقسام الحكمة العملية فهي ثلاثة كذلك: الأخلاق وتدابير المنزل والسياسة.

أما المحور الأساسية في البحث، فكان مع سياسة تدبير المنزل عند ابن سينا، فقد مضى ابن سينا الى بناء الركائز العملية للتدبير الحكيم وقد ناقش الموضوع بكل جزئياته وأقسامه، وقد قسم سياسات تدبير المنزل الى خمس وهي: سياسة الرجل نفسه وسياسة الرجل دخله وخرجه، وسياسة الرجل اهله وسياسة الرجل ولده، وسياسة لخدمه في صورة تكاملية حملت الطابع التطبيقي الواقعي لكل هذا السياسات ودورها في تدبير المنزل.

قائمة الهوامش والمصادر

- (١) أبو الفضل شكوري راد، المنهج السينوي في الفلسفة السياسية ومبادئه، مجلة العلوم الإنسانية، ٦٠٠٢، العدد ١٣، ص ٥٩.
- (٢) المصدر السابق، ص ٦٢.
- (٣) ابن سينا، منطق المشرقين والقصيد المزدوجة في المنطق، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم - إيران، ٥٠٤١ هـ، ص ٥.
- (٤) المصدر السابق، ص ٥.
- (٥) علي أصغر خندان، المنطق التطبيقي (منهج جديد في توظيف أصول علم المنطق)، ترجمة: محمد حسن الواسطي، وعبد الرزاق سيادت الجابري، الديوان للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، بيروت،

- (٢٢) ابن سينا، المباحثات، تحقيق وتعليق: محسن بيدارفر، الناشر: انتشارات بيدار، قم، بلا.ت، ص ١٩١.
- (٢٣) ابن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعات، ص ٨٤.
- (٢٤) المصدر السابق، ص ٨٤.
- (٢٥) المصدر السابق، ص ٨٤.
- (٢٦) المصدر السابق، ص ٨٤-٨٥.
- (٢٧) المصدر السابق، ص ٨٥.
- (٢٨) المصدر السابق، ص ٨٥.
- (٢٩) المصدر السابق، ص ٨٥-٨٦.
- (٣٠) سورة التين: الآية رقم (٤).
- (٣١) ابن سينا، المباحثات، ص ٧٤٣.
- (٣٢) ابن سينا، تدابير المنازل أو السياسات الأهلية، ص ٧.
- (٣٣) ابن سينا، في الأخلاق (من تسع رسائل في الحكمة والطبيعات)، ص ٢١.
- (٣٤) ابن سينا، تدابير المنازل والسياسات الأهلية، ص ٧.
- (٣٥) ابن سينا، النجاة - قسم الحكمة الطبيعية، ص ٤.
- (٣٦) ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، مع شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق سليمان دنيا، القسم الأول، في المنطقيات، دار المعارف، مصر ١٧٩١ ص ٦٤٣.
- (٣٧) ابن سينا، تدابير المنازل والسياسات الأهلية، ص ٩.
- (٣٨) المصدر السابق، ص ٩.
- (٣٩) المصدر السابق، ص ٩.
- (٤٠) المصدر السابق، ص ١٠.
- (٤١) المصدر السابق، ص ١١.
- (٤٢) المصدر السابق، ص ١١.
- (٤٣) المصدر السابق، ص ١١-١٢.
- (٤٤) المصدر السابق، ص ١٢.
- (٤٥) المصدر السابق، ص ١٤.
- (٤٦) ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ص ٧٦٣.
- (٤٧) ابن سينا، تدابير المنازل، ص ١٥. (٤٨) المصدر السابق، ص ١٦.
- السابق، ص ١٦.
- (٤٩) المصدر السابق، ص ١٦.
- (٥٠) المصدر السابق، ص ٢١.
- (٥١) أرسطو طاليس، السياسة، ترجمة: أحمد لطفي السيد، منشورات الجمل، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩، ص ١٠١.
- (٥٢) ابن سينا، تدابير المنازل، ص ٢٦.
- (٥٣) المصدر السابق، ص ٢٦.
- (٥٤) المصدر السابق، ص ٢٦.
- (٥٥) المصدر السابق، ص ٢٧.
- (٥٦) المصدر السابق، ص ٢٧.
- (٥٧) المصدر السابق، ص ٢٧.
- (٥٨) المصدر السابق، ص ٢٨.
- (٥٩) المصدر السابق، ص ٢٨.
- (٦٠) المصدر السابق، ص ٣١.
- (٦١) المصدر السابق، ص ٣١-٢٣.
- (٦٢) المصدر السابق، ص ٣٢.
- (٦٣) المصدر السابق، ص ٣٢.
- (٦٤) ابن سينا، الشفاء، الإلهيات، تحقيق آية الله حسن زاد الأملي، الناشر مركز النشر التابع لمكتب الإعلام، المطبعة باقري، ط ١، ٨١٤١ هـ، ص ١٠٥.
- (٦٥) ابن سينا، تدابير المنازل، ص ٣٦.
- (٦٦) المصدر السابق، ص ٣٦.
- (٦٧) المصدر السابق، ص ٣٧.
- (٦٨) ابن سينا، القانون في الطب، ص ٨٢٢.
- (٦٩) ابن سينا، تدابير المنازل، ص ٣٧.
- (٧٠) المصدر السابق، ص ٣٨-٤١.
- (٧١) أرسطو، السياسة، ص ٣٠١.
- (٧٢) ابن سينا، تدابير المنازل، ص ٤٣.
- (٧٣) المصدر السابق، ص ٤٤.
- (٧٤) المصدر السابق، ص ٤٦.

The applied logic of household management policy according to Ibn Sina

Prof. Dr. Nidhal Dhakir

Abstract:

The research is based on the method and applied logic of the policy of managing the home according to Ibn Sina, as he is interested in explaining the practical side. After Ibn Sina divided the rational sciences into a theoretical section and a practical section, in addition to the mechanical wisdom, as he considered logic to be a god in all the theoretical and practical sciences, and this research sheds light on a branch and a section of the practical sciences, which is the policy of managing the home. Ibn Sina proceeded to build the basic and practical pillars with the intention of wise management that did not neglect the religious, moral and educational side.

Keywords: Home management policy, applied approach, theoretical wisdom, practical wisdom